إبراهيم الملحم

قاتل الرضيع

AUSTIN MACAULEY PUBLISHERS™
LONDON * CAMBRIDGE * NEW YORK * SHARJAH

شخصيَّتان شعبيَّتان شهيرتان ومحبوبتان في منطقتهما (الأحساء)، اشتهرتا بالمقدرة الفائقة على حلِّ أصعب الألغاز التي تواجه الشرطة المحلِّيَّة تحت قيادة العميد عبد الله، وقد أُدرِجا كمتطَوِّعَين متعاونَين.

حمودي وبرهوم ليسا بطبيعة الحال اسمَيهما الحقيقيَّين، اسمهما محمد وإبراهيم، وهما ابنا عمومة، درجَ الناس في محيطهما على تسميتهما بذلك منذ الصغر، واستمرَّ الحال على ذلك برغم تجاوز أولهما الأربعين، وتجاوز الثاني الثلاثين، وذلك بحكم شخصيتهما التي تميل لحب الفكاهة والدعابة، ولا تجد في التكلف قدرة ولو أرادت، بل إنها تنفر مِن مجلس يشيع فيه جو جِدٍّ، وتراه خانقًا ولو فُتِحَت فيه الأبواب والنوافذ على مصاريعها.

العميد عبد الله أخ لبرهوم، وابن عم بطبيعة الحال لحمودي.. يقع تحت يديه ملفات لقضايا بعضها شائك يحتاج لجهد فكري عالٍ وحرٍّ.

هنا لا يتردَّد العميد في الاستعانة باللطيفين أخيه وابن عمه – وهُما طبعًا موضع سرِّه – اللَّذَين يتحرَّكان فورًا ومعهما محيسن وعمير، وهما ابنا أخي العميد وبرهوم.. شابَّان فارعا الطول يمثِّلان القوة والحركة والحيوية في مجموعة الدَّفع الرباعي، في حين يمثِّل الآخران الشخصيَّتَين الرئيستَين والعقل المدبر.

ننتقل الآن لأحد الملفات التي استطاعوا أن يعينوا فيها الأمن، ويبيِّنوا مقدرتهم التحليلية في ربط المعطيات مع المستجدَّات التي حصلوا عليها بجهود ذاتية مع ما تمخَّضَت عنه تحقيقات الشرطة لتنكشف الحقيقة في نهاية المطاف، ويُسدَل الستار على قضية كانت غريبة نوعًا ما.

لا يدري ما الذي دفعَه للخروج في هذه الساعة المتأخرة التي شارفَتِ الثانية فجرًا.

صاحبُ سهرٍ هو.. نعم، لكنَّ خروجًا بعد منتصف الليل ناهيك عن ساعتين بعده كان ضربًا مِن مستحيل لَم يفعله طوال حياته التي شارفَتِ السابعة والعشرين.

نهجٌ اختطَّه له ولإخوته والدهم – رحمة الله عليه – لَم يحيدوا عنه منذ وفاته، وقد بلغَت خمس سنين.

محيسن مدفوعًا بقوة قاهرة فتحَ باب البيت، وخطا خطوتين للخارج، وقبل أن يفكر في إغلاق الباب إذا بباب

جارهم الملاصق ينفتح فجأة، وتخرج منه عاملتهم المنزلية، ثم تعيد إغلاقه بقوة أحدثَت دويًّا في الطريق الفارغ.

تجمَّدَ في مكانه؛ فالمفاجأة أربكَته برغم جرأته المستمدَّة مِن بنيانه العظيم وطوله الفارع!

اشتدَّ ارتباكه أكثر يومَ رأى العاملة وقد جرت بأقصى سرعتها تجاهه وكأنها رأت الخلاص ماثلًا بين يديها.

ارتجَّ عليه، فلَم يحر تصرُّفًا وهو يراها قد سارعَت ودخلَت بيتهم، ثم نظرَت إليه وكأنَّها تستنجد به:

- أرجوك أغلِقِ الباب!

حدَّثَ محيسن نفسه: ثمَّة ما يخيفها، وهي الآن تستنجد بي، لو كان رجلًا وبقدرته الدفاع عن نفسه وطلب مني نجدته لفعلتُ بلا تردُّد، فكيف بامرأة وبائسة مثل هذي؟! لا عاش مَن لا نخوةَ له.

كأنه سمعَ صوتًا داخل بيت جاره، فدلفَ على عجلٍ، وأغلق باب بيتهم مِن الداخل.

أحسَّ براحة داخلية لصنيعه، لكنه سرعان ما عاد إليه التفكير: امرأة غريبة وأدخلتُها البيت، ثم ماذا بعد؟

أخذَتِ البائسة ركنًا في فناء البيت (التهوية باللغة الدارجة) في الطرف البعيد عن بيت كفيلها، وجلسَت أرضًا تبكي بصمت.

أسرعَ محيسن لحجرة نوم والدته، تردَّدَ كثيرًا لكن لا بُدَّ ممَّا لا بُدَّ منه.

مرَّرَ يده بخفَّة على يد والدته هامسًا:

- أمي.. أمي.

لحظات وقامت مفزوعة؛ فلَم تعتَد أن يدخل عليها أحد وهي نائمة ولا أن يُجلِسها حتى تستيقظ بنفسها.

هدَّأَ مِن روعها، وقال بصوت خافت حتى لا يزعج إخوةً له في غُرَف مجاورة:

- العاملة في بيت جارنا دخلَت بيتنا فارَّةً منهم، وطلبَت إيواءَها!

قامت على عجلٍ؛ فهي برغم عدم حبها للمشكلات امرأة ذات طينة طيِّبة، ولَكَم جلسَت مع هذي العاملة عند قدومها لزيارة عاملتها لأمرٍ مشترك بينهما كإنهاء أوراق رسمية، وكانت تجالسها بلا ذرة ترفُّع، وتأخذ معها وتعطي في الكلام كما لو كانت أختًا لها لا فرق.

نزلَت مسرعةً بالقدر الذي سمحَ به العمر والصحة.. أقامت العاملة، واحتوَت رأسها بين يديها الحنونتين، وابتسمَت في وجهها، ومرَّرَت يدًا تمسح به عينيها كَفًّا لها عن الاستمرار في البكاء.

عاد شيء مِن السكينة لتلك المسكينة، وأرادت أن تقول شيئًا، لكن سرعان ما أسكتَتها بوضع يدها برفقٍ على فمها قائلة:

- هَوِّني عليكِ، لا تقولي شيئًا الآن، أنتِ بحاجة للراحة، وغدًا قولي ما تشائين، وسنكون عونًا لكِ بكل ما نستطيع.

جبلُ هَمٍّ انزاحَ عن كاهلها.. أخذَتها أم محيسن إلى غرفة عاملتها بأعلى البيت، وطلبَت منها السماح لها بالنوم معها.

لَم يكُن لعاملتها شيء أَحَبَّ لها مِن ذلك؛ فهي أولًا تعرفها معرفة تامة، ومِن بني جلدتها، ثم هي مِن النوع الاجتماعي التي لا تحبُّ الجلوس بمفردها ولو أن يكون وقت نوم.

عادت الأم لابنها محيسن مستفسرةً عمَّا حدثَ بالتفصيل، ولَم يزدها بالطبع علمًا يُجلي موضوع العاملة، لكن علمَت يقينًا أنهم وضعوا أنفسهم في موضع صعب؛ فالجار ليس ودودًا، بل مكروهًا مِن كل محيطه، والجميع يتجنَّب التعامل معه.

لَم يمهلها الجار طويلًا في تفكير، فقد طرقَ الباب، فتحَه محيسن وقد جاهدَ أن يكسو وجهه ملامح دهشة واستغراب يوم أن سألَه الجار عن عاملتهم هل طرقَت عليهم الباب؟

أتبعَ التمثيل المتقَن بقوله:

- هل ترى سببًا مقنعًا لعاقل أن يدقَّ أبواب الناس قرب الفجر؟!

سليط لسان هو الجار، لكنَّ التكوين الجسماني للمقابل له جعله يتهيَّب جدالًا ورفْعَ صوت، وهي خصيصة مشهورٌ هو بها.

خفضَ رأسه، وتلجلجَ في إبداء الاعتذار، وانسحَبَ مع شعور بغيظ مكتوم يكاد ينفجر معه دماغه.

- لا بُدَّ مِن الاتصال بابن عمي العميد عبد الله.. قالها محيسن بعد أن رجع لأمه يبلغها بماهية الطارق.

- لكنَّ الوقت متأخِّر يا بُنَيَّ، لو أنَّك أرجأتَ ذلك للصباح.

ردَّ محيسن:

- أمي.. الوضع مريب؛ فالعاملة هاربة مِن بيت جارنا، ولعلَّكِ طرقَ سمعكِ مثلي أصواتٌ عندهم مع صوت سيارة أحسب أنها إسعاف، فأخشى أنَّ الموضوع أكبر مِن مجرد هروب عاملة لمعامَلة غير لائقة!

- صدَقتَ يا بني.. علَّقَت أمه، وأتبعَت ذلك بقولها: إذن فقُم بالاتصال به، وسيعذرنا يوم يعلم الأمر.

برغم طبيعة عمله التي تستدعيه للقيام ولو كان في عزِّ نومه إلا إنَّ ردَّه على ابن أخيه كان فاترًا متعبًا، لكن مجرد أن التقطَ خيط الموضوع لَم ينتظر سماعًا لتفاصيله، فقال على عجل وقد اكتسى صوته جِدٌّ وصرامة:

- أنا قادم لأخذها معي، رجاءً اجعلوها جاهزة، لا يمكن الانتظارحتى الصباح؛ فقد يدخلكم ذلك في سينٍ وجيم، وأنتم في غِنًى عن ذلك.

****